

أثر الفلسفة الإسلامية في الفكر الإنساني

الدرس
24

أهداف الدرس

1. أن أتعرف أثر الفكر الفلسفي الإسلامي في الفكر الإنساني؛
2. أن أتبين مسار الفلسفة الإسلامية في التطور والنماء، والتجديد والبناء؛
3. أن أتمثل حضور الفكر الفلسفي الإسلامي في ترشيد فهمي.

تمهيد

بعد تناولنا للأخلاق والقيم، باعتبارها السياق المنيع في حماية الإنسان، وضبط سلوكه، والتحكم في أفعاله وتصرفاته، نتناول في هذا الدرس أثر الفلسفة الإسلامية -حضورا وتميزا- في إغناء الفكر الإنساني العام.

فما عوامل حضور الفلسفة الإسلامية في التراث الإنساني؟ وما أثرها في الفكر الإنساني العام؟

نص الانطلاق

1. يقول علي سامي النشار: «إن منهج البحث هو المعبر عن روح الحضارة لأمة من الأمم، فحيث توجد حضارة يوجد منهج؛ فالمنهج المعبر عن روح الحضارة اليونانية هو المنهج العقلي القياسي، وقد احتقر أرسطو التجربة والتجريب، حين أعلن «النظر للسادة» و«التجربة للعبيد» والمنهج المعبر عن روح الحضارة الأوروبية هو المنهج التجريبي... لن نتبع هنا تاريخ الحضارات المختلفة، لكي نتبين منهج كل حضارة، وإنما نحاول أن نعرض لمنهج الحضارة الإسلامية، المنهج الذي وضعه أصحابها، والمنهج المعبر عن روحها وثقافتها معا».

[نشأة الفكر الإسلامي في الإسلام، ص 26]

2. يقول ابن خلدون: «اعلم أن فن التاريخ فن غزير المذهب، جم الفوائد شريف الغاية؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم

وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا. فهو محتاج إلى مأخذ متعددة، ومعارف متنوعة وحسن نظر وثبت، يفضيان بصاحبهما إلى الحق، وينكبان به عن المزلات والمغالط؛ لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران، والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن

جادة الصدق». [مقدمة ابن خلدون 13/1]

الفهم

استخلاص المضامين:

- أستخلص من النصين: حضور الفلسفة الإسلامية في مختلف المعارف والعلوم.

الشرح:

- **المغالط:** مواضع الغلط.

- **المزلات:** مواضع الزلل والخطأ.

التحليل

نتناول هذا الدرس من خلال المسألتين الآتيتين:

المسألة الأولى: عوامل حضور الفلسفة الإسلامية

لا شك أن هناك تاريخا عاما للفلسفة، يشمل جميع الفلسفات الإنسانية، توضع هذه الفلسفات في إطاره، فالفكر الإنساني متصل الحلقات، ولكن من الخطأ الكبير القول بأن الفلسفات تتشابه في جوهر مذاهبها، وإن اختلفت طبقا للانبعاث الداخلي والخارجي للأمم... سواء منها فلسفة اليونان أو الفرس أو الهند أو غيرها... وكذلك فعل المسلمون القادمون من الجزيرة العربية، فحين التحموا بغيرهم من الأمم، وكونوا معدلا بشريا جديدا، ومزيجا فكريا جديدا، فقدموا فلسفة جديدة لم يعرفها اليونان ولا غير اليونان. [نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ص 9 بتصرف]

إن للفلسفة الإسلامية حضورا متميزا بأعلامها الكثر، وإنتاجها الزاخر، وقضاياها الذاتية، وحضارتها الياقة، وتفاعلها مع مختلف الحضارات الإنسانية وإسهامها في توجيهها وترشيدها، وتصحيح مسار الفكر الإنساني وإغنائه أسلوبا ومضمونا؛ فقد ذاع صيت علمائها ومفكرها، وعلا كعبهم في سماء التراث الأصيل، تمثلا وإسهاما وتوظيفا، حضورا ومشاركة في حوارات

ومناظرات وسجلات، عبر موائد علمية ومنتديات فكرية وثقافية، كان لها وقع كبير، وأثر بالغ لأمس الواقع، ومسّ الجذور التاريخية والحضارية مشرقاً ومغرباً وأندلساً.

ومرد ذلك أن الذين اعتنقوا الإسلام من الأعاجم لم يكونوا على إلمام كاف باللغة العربية في بداية الأمر، فأضحت الحاجة ماسة إلى معرفتهم قواعد اللغة العربية ودراسة فنونها وأساليبها، لغرض ديني هو فهم القرآن الكريم الذي نزل بهذه اللغة. ولذلك تم جمع الشعر والأدب، وجمع الحديث، تحقيقاً لهذه الغاية، وفهما لأسرار الشريعة ومقاصدها. ثم نشأت المذاهب تلبية لدواعي التطور والتعقيد الذي لحق الحياة الاجتماعية نتيجة التوسع في الفتوحات، وما تبع ذلك من تطور حضاري لدى المسلمين، كل هذه العوامل أسهمت في نشاط الفعل الفلسفي لدى علماء المسلمين وتفاعلهم مع مختلف الثقافات إفادة واستفادة. [نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ص: 37 وما بعدها بتصرف]

إن تطور العلوم والمعارف الإسلامية ومنها المعرفة الفلسفية كان لها غرض ديني، وباعث فطري أصيل، توخى امتلاك ناصية العلوم، وقد تنوعت قرائح علماء الإسلام في تشرب العلم والنهل من موارده، وتعدد بذلك علومهم ومعارفهم؛ فطائفة من العلوم تتصل بالناحية الدينية، منها علم القراءات والتفسير والحديث ومصطلحاته وعلومه، والمذاهب الفقهية، وما نشأ عنها من قواعد وأصول وفروع. وطائفة من العلوم اللسانية مدار موضوعاتها حول اللغة بنحوها وصرفها وفقها، ومعاجمها وبلاغتها وشعرها ونثرها، وقد أنشئت في كل ذلك دراسات وبحوث متنوعة ضافية، تنم عن وعي حصيف، وفهم أصيل، ومنطق راشد حصين. [مقدمة ابن خلدون 1025/3 بتصرف]

وهناك علوم اجتماعية تتصل موضوعاتها بالتاريخ، وكل هذه الأصناف من العلوم عرفت نضوجاً وتطلعاً واستشرافاً في أفق تاريخي إسلامي، أسهم في النماء والتطور والانفتاح. يقول ابن خلدون: «اعلم أن فن التاريخ فن غزير المذهب، جم الفوائد شريف الغاية؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا. فهو محتاج إلى مأخذ متعددة، ومعارف متنوعة وحسن نظر وثبّت، يفضيان بصاحبهما إلى الحق، وينكبان عنه المزالات والمغالط». [مقدمة ابن خلدون 13/1]

المسألة الثانية: أثر الفلسفة الإسلامية في الفكر الإنساني العام

تناولت الفلسفة الإسلامية قضايا متنوعة تشمل الوجود والمعرفة والأخلاق، فمضت متوخية التوفيق بين النصوص الدينية والعقل اليوناني، وقد وظف فلاسفة الإسلام المنهج العقلي في دراسة النصوص الدينية أدى إلى نشوء مدارس فلسفية مختلفة.

– **فلسفة انتقائية:** تختار بوعي وتبصر كل ما هو صالح ومناسب لشخصيتها المستقلة والتميزة ومحقق لغايتها في المعرفة؛ فقد طبع الإسلام الشخصية المسلمة بطابع فكري أصيل، وأسهمت اللغة العربية – لغة القرآن – التي كانت أداة التفكير والتواصل في وحدة الهدف والقصد والمنهج، فكان اختياراً إرادياً قصدياً واعياً، يقول ابن خلدون: «وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة، التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله، وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيئها للإفادة، ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي، الذي هو لسان الملة، وبه نزل القرآن الكريم».

[مقدمة ابن خلدون 1026/3]

– **فلسفة توفيقية:** فقد أعجب فلاسفة الإسلام بثمرات الإرث الإغريقي، وتفاعلوا معه على الرغم من الاختلاف البادي بين المنظومتين، سواء في المرجعيات، أو في لغة التداول، أو في القضايا المعالجة؛ وعملوا على التوفيق بين الفلسفة والدين؛ حيث مهد لذلك كل من الكندي وبعده الفارابي وتلميذه ابن سينا، ثم حمل لواء التوفيق بين الحكمة والشريعة، أبو الوليد ابن رشد الحفيد الذي يقول: «فإذا كانت هذه الشريعة حقاً، وداعية إلى النظر المؤدي إلى معرفة الحق، فإننا معشر المسلمين نعلم على القطع أنه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع. فإن الحق لا يضاد الحق، بل يوافقه ويشهد له». [فصل المقال، ص 31-32]

ومن هنا يتبين إسهام الفلاسفة المسلمون في إغناء الفكر الإنساني في شتى صنوف المعرفة؛ فهذا – الشيخ الرئيس – ابن سينا ألمع اسم في تاريخ العلوم العقلية، وأضحى واحداً من أشهر الفلاسفة المسلمين الذين برزوا في الفلسفة والطبيعات والطب، إلى أبعد مدى، وأرحب أفق؛ حيث ذاع صيته، وسما ذكره، ونبغ فكره في سماء العلم مشرقاً ومغرباً، وامتد أثره إلى الشرق والغرب، على السواء. وقد ترجمت آثاره الفلسفية والطبية إلى اللغات اللاتينية، وسواها.

وكان لعلماء المسلمين عبر امتداد تاريخهم إسهامات في شتى فنون المعرفة الإنسانية فهذه إبداعات الخوارزمي وابن الهيثم وابن النفيس وغيرهم في علم البصريات، وفي الرياضيات: – وهو علم يهتم بدراسة الكميات والاعداد والحسابات –، كما ترك فلاسفة الإسلام مؤلفات كثيرة في المساحات والنجوم، وفي علم الفلك برعوا في تحديد أوقات الزمن وفصوله، وتوسعوا في دراسة كل فرع من فروع الطبيعة، وفقاً لقواعد الملاحظة والتجربة والاختبار. يقول علي سامي النشار – مؤكداً عن روح الحضارة الإسلامية ومنهج علماء الإسلام في تبنيها وتشبيدها صرحها المميز –: «إن منهج البحث هو المعبر عن روح الحضارة لأمة من الأمم، فحيث توجد حضارة يوجد منهج، فالمنهج المعبر عن روح الحضارة اليونانية هو المنهج العقلي القياسي، وقد احتقر أرسطو التجربة والتجريب، حين أعلن «النظر للسادة»، و«التجربة للعبيد» والمنهج المعبر عن روح الحضارة الأوروبية هو المنهج التجريبي... ولن نتبع هنا تاريخ الحضارات المختلفة لكي

نتبين منهج كل حضارة، وإنما نحاول أن نعرض منهج الحضارة الإسلامية، المنهج الذي وضعه أصحابها، والمنهج المعبر عن روحها وثقافتها معا». [نشأة الفكر الإسلامي في الإسلام، ص 26]

وصفوة القول إن فلاسفة الإسلام لم يكونوا نقلة ومقلدين، وشخصيات إمعية مفصلة الذات، بل موصولة البنية والتكوين والفاعلية، جمعوا تراث الأقدمين، ونفضوا عنه الغبار، وأعادوا إليه صفاءه. وتجاوزوه بإبداعات جديدة، وإنتاج جديد، وحضور متميز ترجمةً وانتقاءً، فهما وتمثلاً، أثرا وتأثيراً، تفاعلاً وإحكاماً وضبطاً، إن على مستوى النظر والاعتبار، أو على مستوى التطبيق والاقتدار.

التقويم

1. أتحدث عن عوامل حضور الفلسفة الإسلامية وانتشارها.
2. أبين أنواع العلوم التي أبدعها الفلاسفة المسلمون.
3. أبرز أثر الفلسفة الإسلامية في الفكر الإنساني العام.

الاستثمار

يقول علي سامي النشار: «لم تكن فلسفتنا فلسفة اليونان، وإن كنا قد تناولناها، فلم يكن مجتمعنا مغلقاً، تقف حوالية السدود والقلاع، بل فتح الباب العظيم، ودخل كل شيء عارياً إلى مدينتنا الكبرى، فأخذنا ما أخذنا، ورفضنا ما رفضنا، وكان ما أخذنا قليلاً، ثم وضعنا البناء العظيم، وجرى الفكر نهراً سيالاً يبدع ويثمر... وأتت الفلسفة بخلق جديد، وألقت بتصورات كبرى، في تاريخ الفكر الإنساني، وحولت هذا الفكر من طور إلى طور،... حتى حل الأصيل، ونبع الفكر، وتجدد الفهم، وأثر وأبدع. وهذه اللبنة الأساس للفلسفة الإسلامية والفكر الإسلامي على حد سواء. منهاجاً ومصدراً ورؤية وأثراً».

[نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ص: 1110 - بتصرف]

أبرز خصوصية الفلسفة الإسلامية وأثرها في الفكر الإنساني.

الإعداد القبلي

أعد - رفقة أصدقائي - لدرس الأنشطة.